وإنّ محالَكَ هذا ينفَعُكَ مع عِظَمِ جُرْمِكَ ، قال دمنةُ : الكَذُوبُ هو الذي يقُولُ ما لمْ يكُنْ ويأتي بما لم يُقَلْ ولم يُفْعَلْ وكلامي حقٌّ مُبينٌ ، قالتْ أمُّ الأسد : العُلماءُ منكم منْ قَضَى حاجتَهُ فيه ، ثم نَهضَتْ فخرجتْ ، فدَفع الأسدُ دمنةَ إلى القاضي فأمرَ القاضي بحبسهِ فأُلقى في عُنقُه حَبلٌ وأُنطُلقَ به إلى السّجْن .

فلمّا انْتصَفَ اللّيـــلُ اُخبرَ كليلةُ أنّ دمنةَ في الحبْس فأتاهُ مُسْتخْفياً فلمَّا رآهُ وما هُو عليه منْ ضِيق القُيُود وحرَجِ[1] المكانِ بكى وقال لهُ : ما وصلْتَ إلى ما وصَلْتَ إليه إلاّ لاسْتعْمالِكَ الخديعةَ والمكْرَ وإضرابِكَ[2] عن الْعِظةِ ، ولكنْ لم يكنْ لي بُدٌّ فيما مضَى منْ إنْذارِكَ والنّصيحةِ لكَ والمُسارعةِ إليْكَ في خُلُوصِ الرَّغْبةِ فيكَ ، فانه لكلِّ مَقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ موْضعٍ مَجَالٌ ، ولوْ كنتُ قصَّرْتُ في عِظَتكَ حين كنتَ في عافيةٍ لكنْتُ اليومَ شَريكَكَ في ذنْبكَ ، غيرَ أنَّ العُجْبَ[3] دخلَ منكَ مدْخلاً قهرَ رأيكَ وغلَب على عقْلِكَ ، وكنتُ أضرِبُ لك الامْثال كثيراً واُذَكّرُكَ قوْلَ

---

١ — حرج : ضيق .
٢ — إضرابك : إعراضك .
٣ — العجب : الكبر .

العلماء ، وقدْ قالتِ العلماءُ : إنّ المُحْتالَ يموتُ قبْلَ أجَلِهِ ، قال دمنةُ : قدعرَفْتُ صِدْقَ مقالتِكَ ، وقد قالتِ العلماءُ : لا تجْزَعْ من العذاب اذا وقعْتَ منكَ خطيئة ، ولَأنْ تُعذَّبَ في الدُّنيا بجُرْمِكَ خيرٌ مِنْ أنْ تُعذَّبَ في الآخرةِ بجهنمَ مع الإثمِ . قال كليلةُ : قدْ فَهِمتُ كلامَكَ ولكنَّ ذنْبَكَ عظيمٌ وعقابَ الأسدِ شديدٌ أليمٌ ، وكان بقُرْبِها في السجْنِ فَهْدٌ مُعتقَلٌ[1] يَسْمَعُ كلامَهُما ولا يَرَيانِهِ ، فعرَفَ مُعاتبةَ كليلةَ لدمنةَ على سُوءِ فعلِهِ وما كان منهُ ، وأنَّ دمنةَ مُقِرٌّ بسُوءِ عملِهِ وعظيمِ ذنْبِهِ فحفِظَ المُحاورةَ بينهما وكتمَها ليَشْهَد بها إنْ سُئلَ عنها ، ثمّ إنّ كليلةَ انصرفَ إلى منزلِهِ ودخلتْ أمُّ الأسدِ حينَ أصْبَحتْ على الأسد فقالتْ لهُ : يا سيِّدَ الوُحوشِ حُوشِيتَ[2] أنْ تَنسَى ما قُلتَ بالأمسِ ، وإنّكَ أمَرْتَ به لوقْتِهِ وأرْضَيْتَ به ربَّ العِباد ، وقدْ قالتِ العُلماءُ لا ينْبغي للإنْسانِ أنْ يتولَّى في الجِدِّ للتَّقْوى ، بلْ لا ينبغي أنْ يُدافِعَ عن ذنْبِ الأثيمِ ، فلما سمعَ الأسدُ كلامَ أمّهِ أمرَ أنْ يَحْضُرَ النَّمِرُ وهو صاحبُ القَضاءِ ، فلما حضَرَ قال

---

١ — معتقل : محبوس .

٢ — حوشيت : نزهت .

لهُ : وللجوّاسِ [1] العادلِ : اجْلِسَا في موْضعِ الحكمِ ونادِيَا في الجُنْدِ صغيرِهِمْ وكبيرِهِمْ أنْ يحضُرُوا وينظُرُوا في حالِ دمنةَ ويبْحَثُوا عن شأنِه ويفْحَصُوا عن ذنْبِه ويُثبِتُوا قولَهُ وعُذْرَهُ في كُتُبِ القضاءِ وارْفعا إليّ ذلكَ يوْماً فيوْماً ، فلما سمعَ النمِرُ ذلكَ والجوّاسُ العادلُ ، وكانَ هـذا الجوّاسُ عمّ الأسدِ قالاَ : سمْعاً وطاعةً لِما أمرَ الملكُ وخرَجا من عِنْدِهِ فعمِلاَ بمقتضَى ما أمرَهما به حتى إذا مضَى من اليَوْمِ الذي جلَسُوا فيه ثلاثُ ساعاتٍ أمرَ القاضِي أنْ يؤْتَى بدمنةَ فأُتِيَ بـه فاوقِفَ بينَ يدَيْه والجماعةُ حُضورٌ .

فلما اسْتقرَّ به المكانُ نادَى سيّدُ الجمْعِ بأعْلى صوْتِه : أيُّها الجمْعُ إنكم علِمتمْ أنّ سيدَ السّباعِ لم يزَلْ مُنذُ قَتلَ شترَبةَ خاثِرَ [2] النفْسِ كثيرَ الهمّ والحُزْنِ يرَى أنهُ قدْ قتلَ شترَبةَ بغيرِ ذنبٍ وأنهُ أخذَهُ بكَذِبِ دمنةَ ونميمتِه ، وهـــذا القاضِي قدْ اُمِرَ أنْ يجلِسَ مجلسَ القضاءِ ويَبْحثَ عن شأنِ دمنةَ ، فمنْ علمَ منكم شيئًا في أمرِ دمنةَ منْ خيرٍ أوْ شرٍّ فلْيقُلْ ذلك ولْيتكلّمْ به على رؤوسِ الجمعِ والأشْهادُ ليكونَ القَضاءُ في أمرِه بحسبِ ذلكَ ، فاذا استوْجَبَ القتْلَ

---

١ — الجواس : من اسماء الاسد وهو من جاس اذا تردد خلال الدور .

٢ — خاثر النفس : منقبضها .

فالتثبُّتُ في أمرِه أوْلى ، والعجَلةُ من الهوَى[1] ، ومُتابعة الأصْحابِ على الباطِلِ ذُلٌّ ، فعندَها قال القاضي : أيها الجمعُ اسْمَعُوا قوْلَ سيّدِكمْ ولا تكتُمُوا ما عرَفتمْ منْ أمرِه ، واحْذرُوا في السَّترِ عليهِ ثلاثَ خِصالٍ : أما إحداهُنَّ وهيَ أفْضلهنَّ فلا تَزْدَرُوا فِعلَهُ ولا تَعدُّوهُ يسيراً فمنْ أعظمِ الخطايا قتْلُ البريءِ الذي لا ذَنبَ لهُ بالكذِبِ والنميمةِ ، ومَنْ علِمَ منْ أمرِ هـــذا الكذّابِ الذي اتهمَ البريءَ بكَذِبهِ ونميمتهِ شيئاً فسترَ عليه فهو شَريكُهُ في الإثمِ والعُقوبةِ ، والثانيةُ : إذا اعترَفَ المُذْنبُ بذَنْبه كان أسْلَمَ لهُ ، والأحْرَى بالملكِ وجُنْدِه أنْ يَعْفُوا عنهُ ويَصفَحُوا ، والثالثةُ : تركُ مُراعاةِ أهْلِ الذَّمِّ والفجُورِ ، وقطْعُ أسبابِ صلاتِهمْ ومَودَّتِهمْ عن الخاصَّةِ والعامَّةِ ، فمنْ عَلِمَ منْ هذا المُحتالِ شيْئاً فلْيتكلَّمْ بهِ على رُؤوسِ الأشهادِ ممنْ حضَرَ ليكونَ ذلكَ حُجَّةً عليه ، وقد قيلَ إنهُ منْ كتمَ شهادَةَ ميّتٍ أُلجمَ بلجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ ، فلْيقلْ كلُّ واحدٍ منكمْ ما عَلِمَ ، فلما سمعَ ذلك الجمْعُ كلامَهُ أمْسَكُوا عن القوْلِ ، فقال دمنةُ : مـــا يُسكِتُكمْ تكلموا بما عَلمتمْ واعلَموا أنَّ لكلِّ كلمةٍ جوابا ، وقدْ قالتِ العُلماءُ : مَنْ يَشْهَدْ بما لم يرَ ويقولُ مالاَ يَعلمْ أصابَهُ ما أصابَ الطَّبيبَ

---

١ — الهوى : ميل النفس المذموم فيقال اتبع هواه وهو من اهل الاهواء .